فيه الخلاف وبما لا يسع، والجهل بأصول الافتراق، والجهل بقواعد الشرع العامة، ويجعل الجاهل يعمل على غير بصيرة، بل قد يعمل لتحقيق أهداف غيره من أعدائه، ويضع الأشياء في غير مواضها، ويؤخر ما حقه التقديم ويقدم ما حقه التأخير، وهو عدو نفسه.

إن أمتنا تعلم أن أول الآيات نزولا على قلب محمد ﷺ هي قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]،ولا يستقيم واقع الأمة اليوم مع هذا التوجيه الرباني، وقد أشار القرآن الكريم إلى سمو العلم وأهله، ونعى على الجاهلين فقال: :﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩]، فالجهلة هم الذين "لا يدركون الأشياء على ما هي عليه بل تختلط عليهم الحقائق وتجري أعمالهم على غير انتظام"[٥٦].

إن التخلف العلمي والتربوي اليوم ظاهر للعيان فارتفاع نسبة الأمية الأبجدية والتقنية، وظهور مشكلات تربوية تعاني منها المجتمعات المسلمة، يعد جرس انذار لكي يسعى الجميع للتخلص من الأمية والجهل، والنتوءات التربوية من خلال العودة الصادقة إلى كتاب الله الكريم، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وارتقاء سلم المعرفة بجدارة واقتدار عملا بسنة الله تعالى في حياة الأمم صعودا وهبوطا.

ولقد أثر الجهل والتخلف على حياة الأمة مما جعلها في آخر الركب بين الأمم، إن الأمم اليوم تتنافس بمقدار ما تقدم للبشرية من إنتاج علمي، وهنا تتبوأ مراتب الصدارة، وآن الأوان اليوم لأمتنا لأن تزيل هذا التخلف والجهل من حياتها كي تنهض بين الأمم.

ثالثاً: الفوضى والارتجال

إن الارتجال والعشوائية وسوء التخطيط من عوامل السقوط الحضاري، ومخالف لسنن الله الحاكمة لحركة الحياة والكون، ولا مكان للعبثية والفوضى في ديننا، إنما تخطيط مسبق، ورؤية واضحة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحشر: ١٨] يقول ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾"أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم"[٥٧] فالله سبحانه يريد أن يكون المؤمن صاحب نظرة مستقبلية تتجاوز حدود الدنيا الفانية إلى الدار الآخرة الباقية، أي يملك خطة استراتيجية بعيدة المدى "لينظر أحدكم أيّ شيء قدّم؟ عملا صالحا ينجيه؟ أم شيئا يُوبِقُه؟"[٥٨]، فقد خلق الله الكون ونسقه بنظام محكم وميزان دقيق، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، وخلق الانسان بمراحل دقيقة منظمة، وأنزل الماء من السماء بقدر، وحرك النجوم والكواكب في مداراتها بدقة وإحكام فقال سبحانه: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]، وجعل الله للإنسان نظاماً محكماً، ومنهاجاً مستقيماً لا عوج فيه، فأحكامه وتشريعاته تقوم على الدقة والنظام، فنظام العبادات الذي رسمه لنا الوحي. الكتاب والسنة. يعلمنا الدقة والنظام بأوقاته وكيفياته

٥٦- التحرير والتنوير: ٣٤٩/٢٣.
٥٧- تفسير القرآن العظيم: ٧٧/٨.
٥٨- زاد المسير، ابن الجوزي: ٤/ ٢٦٣.

وزمنه، وشروطه وأركانه، وإن أي فوضى وارتجال في مجالات الحياة يعني السقوط من سلم الحضارة، والملحوظ في واقع أمتنا اليوم تفشي العشوائية والارتجالية، وسوء التخطيط، وهذا يتنافى مع سنن الله في نهضة الأمم.

إن الدارس لحياة الرسول ﷺ يدرك بوضوح النموذج العملي في محاربة العشوائية إذ حياته كلها قامت على التخطيط الدقيق فالمتأمل في هجرته عليه الصلاة والسلام يدرك الدقة في التخطيط لها من الإذن لأصحابه بالهجرة أولاً، واستبقاء البعض للقيام بمهام فيها، فعلي ﷺ للنوم في فراشه؛ لصرف أنظار المتربصين من قريش، ورد الأمانات، وإعداد آل أبي بكر رضي الله عنهم للراحلة والزاد والصحبة، والخروج في وقت غير متوقع، واختيار خبير بالطريق بعيداً عن أعين قريش، وتغيير مسار الرحلة، والإقامة ثلاثاً في الغار، وكتم الأخبار، ومتابعة أخبار قريش، وغير ذلك[٥٩].

الاستبداد يعني الانفراد بالأمر وفرضه على الآخرين بالقوة، فهو يعطل الطاقات، ويجمد الابداع، ويفسد الحياة، سواء تمثل في فرد أوجماعة أو طائفة أو حزب أو قبيلة، فالمستبد يستخف بعقول الناس ويصادر حرياتهم، وقد صور القرآن الكريم شخصية المستبد على حقيقتها الكالحة الفجة فقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] فليس هناك رأي، ولا مشورة، ولا تفكير، إلا بما يقوله فرعون نفسه، وما يمليه هو على مَن حولَه، وكان يتهدد كلَّ مَن يأتي برأي أو يخالفه في الرأي، بالقتل والسجن، كما صنع مع موسى عليه السلام متوعدا له، بين الله ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقد قدمت سورة القصص صورة جلية تضمنت مثلاً للإستبداد والطغيان في مواضع منها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

كما أن الفساد قرين الاستبداد، وهو خلل وسوء استغلال، وقد ذكر القرآن الكريم أنموذجاً لذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٥ - ٢٠٦] والفساد يشمل العقائد والأخلاق، والإدارة والحكم والاقتصاد، والتعليم والإعلام والبيئة، ويأخذ صوراً متعددة، فتارة ينتشر باسم الحرية الشخصية أو الفكرية، وتارة عبر التبعية السياسية والاقتصادية، وكل من الاستبداد والفساد يعدان من أبرز عوائق النهوض الحضاري في حياة الأمة؛ بما يخلفه من تعطيل للطاقات، وتبديد للثروات، ومحق للبركات والخيرات، وحلول للعقوبات الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] كما أن نتائج الاستبداد والفساد واضحة على الفرد والمجتمع؛ لذا لا بد من بناء حياة خالية من الاستبداد والفساد؛ حتى تستحق الأمة المجد والنهوض من جديد، فالمتأمل في مبادئ الإسلام يعلم بأن كل فرد له دور في حياة المجتمع، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد ليقدم ما يستطيع من جهود وأفكار إبداعية وتطويرية، وآراء ومهارات لخير المجتمع، وتقويم لأي انحراف، وإصلاح أي خلل يظهر، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ

٥٩- ينظر: السيرة النبوية: ٢/ ٩١ - ٩٩.

ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[هود: ١١٦ - ١١٧].

والأمر يحتاج إلى صبر قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، وكل ذلك خبث وزبد سيذهب بمجيئ الحق قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد: ١٧].

المبحث الرابع: عوامل أخرى في النهوض الحضاري للأمة في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: تصحيح الفهوم الخاطئة

إن تصحيح الفهوم الخاطئة منهج قرآني، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد: ٢٧] ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوها﴾ "أي ابتدعتها أمة النصارى ما كتبناها عليهم أي ما شرعناها لهم وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم"[٦٠]. فقد شرعوا لأنفسهم مالم يأذن به الله "فالراهب يمتنع من التزوج خيفة أن تشغله زوجه عن عبادته، ويمتنع من مخالطة الأصحاب خشية أن يلهوه عن العبادة، ويترك لذائذ المآكل والملابس خشية أن يقع في اكتساب المال الحرام، ولأنهم أرادوا التشبه بعيسى عليه السلام في الزهد في الدنيا وترك التزوج، فلذلك قال الله تعالى: ابتدعوها، أي أحدثوها فإن الابتداع الإتيان بالبدعة والبدع وهو ما لم يكن معروفا، أي أحدثوها بعد رسولهم فإن البدعة ما كان محدثا بعد صاحب الشريعة"[٦١]، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١]، وفي قصة عدي بن حاتم رضي الله عنه لما أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية "قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»"[٦٢].

وفي ضبط الألفاظ يقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٠٤] "كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: ﴿ رَاعِنَا ﴾ أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا

٦٠- تفسير القرآن العظيم: ٨ / ٦١.
٦١- التحرير والتنوير: ٢٧ / ٤٢٢.
٦٢- تفسير القرآن العظيم: ٤ / ١١٩.

الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذو"[٦٣].

وفي تصحيح السلوكيات يقول سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: ١ - ٢]. يقول الإمام ابن كثير: "هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام"[٦٤].

إن كثيراً من الفهوم الخاطئة انتشرت عبر التاريخ الإسلامي فشوهت الصورة الصحيحة الناصعة البانية الإيجابية، وكانت من الأسباب التي أعاقت الفعل الحضاري الإسلامي نتيجة للفهم السقيم الذي دخل على بعض الفهوم الإسلامية، ومن تلك الفهوم القاصرة:

أولاً: مفهوم العبادة

العبادة بمفهومها الشامل هي غاية الوجود الإنساني، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد بين الامام ابن تيمية رحمه الله مفهوم العبادة فقال: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[٦٥]، فالعبادة شاملة لجميع أوجه النشاط الإنساني، وحين تم حصرها في الشعائر أصبح أداؤها شكلاً خالي المضمون، مما أدى إلى تخلي كثير من المسلمين عن دورهم الإيجابي في عمارة الكون والنهوض الحضاري اللائق بكرامة الانسان على الله، والنظر إلى الدنيا مقابل الآخرة فإما الدنيا أو الآخرة، مما جعل الحياة السلبية تورث تخلفاً ونكوصاً حضارياً، وجعل الأمة تتحول من صدارة الأمم إلى هامش الحياة، وورث هزيمة روحية عند البعض فصار فريسة للأفكار الغريبة والغزو الفكري المدمر.

إن النظرة الإسلامية للحضارة هي العبادة بمفهومها الشامل التي تجعل من الفرد عابداً قلبه وجوارحه، وحياته ومماته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] فهي عبادة حية تطلق طاقات الفرد في جميع مجالات الحياة، إبداعاً وبناءً ونهضة، فهي تشمل جميع أوجه النشاط الإنساني من أداء الشعائر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبرالوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، وطيب المأكل والمشرب، وسياسة المال وشؤون المعاملات، وبناء الدولة، وأصول العلاقات الدولية، وجميع ما يقوم به الإنسان بحثاً وتنقيباً، وإعماراً، وإطلاقاً وتوظيفاً للطاقات، وإعمالاً لسنن التسخير التي أودعها الله في الأنفس والآفاق فـ"العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها"[٦٦].

فالنهوض الحضاري الصحيح هو الذي يحقق غاية الوجود الإنساني، في ظل المنهج الرباني، الذي يجعل الإنسان يعمل في الحياة بما يلبي الحاجة الطينية في التكوين البشري والنفخة العلوية، فهو يمشي على الأرض

٦٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ٥٤.
٦٤- تفسير القرآن العظيم: ٧ / ٣٤٠.
٦٥- مجموع الفتاوى: ١٠ / ١٤٩.
٦٦- مجموع الفتاوى: ١٠ / ١٥٠.

بمنهج السماء، ويقوم بمهمة الاستخلاف قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] والعمارة تتطلب علماً وتقانةً وتوظيفاً للطاقات والإمكانات، وحفزاً للهمم والعزائم، ومعرفةً بسنن التسخير.

فالأعمال الاجتماعية النافعة عبادة، وكذا عمل الإنسان في معاشه إذا كان العمل مشروعاً، وتصحبه النية الصالحة، ويؤدى باتقان، ويلتزم فيه بحدود الله، ولا يشغل عن الواجبات الشرعية[٦٧] فهي تستغرق الحياتين الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠].

ثانياً: مفهوم العمل

العمل المطلوب هو: بذل الجهد البناء لتحقيق مقاصد الشرع من خلق الإنسان على هذه الأرض، ويعد العمل ثمرة الإيمان الحق؛ لتحقيق ثلاثة مقاصد[٦٨]:

الأول: العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: الخلافة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

الثالث: العمارة، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

لقد شاب مفهوم العمل عند بعض المسلمين ما شاب مفهوم العبادة، بل هو انعكاس له، فأسيئ مفهوم التوكل والقضاء والقدر، فحلت السلبية والفوضى والاتكالية، وتم لدى البعض الفصل بين الإيمان والعمل، وحتى في مفهوم الموت الذي تحول إلى مفهوم سلبي، بمعنى أنه لا داعي للعمل ما دام أن الموت آت، إضافة إلى تعطيل نصف المجتمع - المرأة - عن القيام بوظيفتها الملائمة لها، والإسلام ينظر إلى المرأة باعتبارها شقيقة الرجل، وشريكته وعونه في أداء الرسالة، والقيام بوظيفتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فهم يتعاضدون فيما بينهم للقيام بهذه الرسالة، والله سبحانه لا يضيع جزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة

٦٧- ينظر: في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل وآخرون: ٨٤ - ٨٦.
٦٨- ينظر: الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني: ٩٠.

فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وضاق مفهوم العمل الصالح بقصره على الشعائر التعبدية، علماً أن الإيمان قول وعمل ونية، فالقول والعمل ركنان في مسمى الإيمان، وقد نقل الإمام ابن تيمية رحمه الله عن السلف: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين مِن بعدهم ومَن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر"[٦٩].

قال ابن القيم رحمه الله: "من جعل الإيمان مجرد التصديق وإن لم يقارنه فعل واجب ولا ترك محرم، وهذا من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية"[٧٠].

وقد ورد الإيمان مقروناً بالعمل في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢]، وما ذكره الله في سورة العصر فقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ . إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

إن الإيمان ينبثق منه العمل الصالح تعبيراً عن قراره في قلب المؤمن وعقله، وعليه يترتب الجزاء ثواباً وعقاباً قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وهذا هو قانون العمل والجزاء، فلا جحود ولا كفران للعمل الصالح عند ما يقوم على الإيمان، فالإيمان يعطي العمل الصالح قيمته، ويثبت له وجوده، والعمل الصالح يمثل للإيمان ثمرته وحقيقته، ومن ثم يقرن القرآن دائما بين الإيمان والعمل الصالح، فلا جزاء على إيمان عاطل لايثمر عملاً، ولا على عمل لا يقوم على الإيمان.

ومن المعلوم أنه حيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل يثمر الوراثة للأرض، وحين يفترق هذان العنصران تضطرب الحياة والحضارة، فأصحاب الإيمان يبرهنون على ذلك بالعمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله، وتجري سنته قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] .

ثالثا: مفهوم الجهاد

الجهاد: مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو[٧١].

وهو: بَذْل الْوُسْع وَالطَّاقَة في سَبِيل اللَّه عز وجل بِالنَّفْس وَالْمَال وَاللِّسَان أو غَيْر ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥] "أي: وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله

٦٩- الإيمان: تقي الدين ابن تيمية ص: ٢٤١.
٧٠- الصلاة وحكم تاركها، ابن قيم الجوزية ص: ٦١
٧١- مفردات القرآن الراغب: ٢٧١.

ورضوانه أولئك هم الصادقون أي: في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون، لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة"[٧٢].

وقد تكرر ذكر الجهاد باشتقاقاته في القرآن الكريم: (٣٤) مرة.

ولقد شُرع القتال في الاسلام لتحرير الناس ولمنع الفتنة عنهم قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٧٥].

لقد تعرض مفهوم الجهاد للتشويه من قبل أعداء الإسلام، حتى أصبح مشوشاً حتى لدى كثير من أبناء المسلمين، فظهرت فئة تريد أن تجعل من الجهاد حرباً على العالم كله، من سالم منهم ومن حارب، وفئة أخرى تريد أن تلغي الجهاد من حياة الأمة بدعوى التسامح مع المخالفين، وتجفيف منابعه التي يستقى منها المسلم العزة والكرامة، والشجاعة في الحق، والمقارعة للباطل، والاستعداد للبذل والعطاء، فتجرد الأمة من عوامل قوتها.

بينما المفهوم الصحيح للجهاد أوسع من ذلك: فقد يكون باللسان وبالقلم، كما يكون بالسيف والسنان، ويكون أيضا فكرياً، أو تربوياً وتعليمياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، وآيات القرآن الكريم توضح ذلك بجلاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] وقوله جل شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال جل وعلاء: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

إن الواجب على الأمة العودة الجادة إلى الوحي - الكتاب والسنة - لتصحيح مفهوم الجهاد، والقيام الصادق به في جميع ميادينه وصوره، حماية للدين والعقيدة والعرض والمال والعقل، ولتحقيق العزة والمنعة والسؤدد.

رابعاً: مفهوم الشورى

الشورى: مفرد تشاور، التشاور تداول الرأي، شاوره: طلب منه المشورة، والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شرت العسل: إذا اتخذته من موضعه، واستخرجته منه، والشورى: الأمر الذي يتشاور فيه.[٧٣]، فاستخراج أحسن الرأي وأجمله وأكمله من أهل العقول والتجربة والخبرة، وتقليب الآراء ورد بعضها إلى بعض؛ لاستخراج أفضلها والأخذ به، عمل يدل على حصافة ورجاحة عقل ولي الأمر.

الشورى تعني: تقليب الآراء المعروضة في قضية ما بين أصحاب العقول حتى يتوصل إلى الصواب منها أو أصوبها، للوصول إلى أحسن النتائج واتخاذ القرارات السديدة.

٧٢- تفسير القرآن العظيم: ٣٦٤/٧.

٧٣- ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٦٩ - ٤٧٠، لسان العرب:٤/ ٤٣٤ – ٤٣٦.

تعد الشورى خصيصة من خصائص المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقد سميت سورة به وهي سورة الشورى، ليدل على وجوب الأخذبها والحض عليها في الشأن العام والخاص.

لقد عد الإسلام الشورى أساسا للحكم حتى لاينفرد الانسان بالرأي ويستبد به، فعندما يشاور يضيف إلى عقله عقول الآخرين، وإلى علمه علوم الآخرين على جميع المستويات، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفي مجال الحياة الزوجية قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وقد تعرض مفهوم الشورى للتشوه حيث كان أول أمر صودر في حياة الأمة الشورى، وحل محله الاستبداد والملك العضوض، والملك الجبري، وغيبت الشورى، وتعرضت الشورى إلى تقزيم في الأداء بحصرها في فئة محدودة، أو إبقائها صورة وتفريغها من مضمونها لتضليل الأمة أو مصادرة رأيها.

مع أن النهوض الحضاري يتطلب حشد طاقات وقدرات الأمة، وإشراكها في كل مجالات النهوض، ورفعا للخلاف الحاصل.

واختل أيضا مفهوم الأمانة في الحياة العملية، حيث تم حصرها في أداء الودائع، والقرآن الكريم ذكر الأمر بوضوح لا يقبل اللبس شمولها لجميع صور الأمانات ومنها أمانة المسؤولية وتولية الولاة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] يقول الامام ابن كثير: "حَكَمُهَا عَامٌّ"[٧٤].

خامساً: وضوح علاقة الانسان بربه وبالكون والحياة

إن إدراك إنسان النهوض الحضاري لمفهوم علاقته بربه يقوم على أساس العبودية الكاملة لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فهي علاقة عبد برب خالق قوي قادر قاهر عليم خبير رحيم ودود، يتعرف عليها العبد من خلال أسماء الله تعالى وصفاته، فهو إنسان عابد لله يسير، وفق منظومة كونية مسبحة عابدة، وهو جزء من هذا الوجود، والكون من حوله مسخر له، وهو ميدان لفكره، وعلمه، وبنائه وعمرانه، والاستفادة مما أودعه الله فيه من خيرات، وقوانين وسنن، يسير في الحياة وفق منهج إلهي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فالوحي المتمثل في الكتاب والسنة دليل سيره، ومنهاج حياته، يسلك في الحياة مترسما هداياته وأحكامه وتشريعاته في كل حركته في الحياة، في علاقته بربه وبالكون من حوله، ومن ذلك العلاقات البينية بين البشر، فالعلاقات الأسرية القائمة على المودة والرحمة والاحترام والتوقير تجعل الأسرة لبنة قوية في البناء الحضاري، وكذلك العلاقات الاجتماعية القائمة على أساس التعارف والتكامل والتعاون، والصدق والأمانة، وحب الخير لهم، يحب لهم ما يحب لنفسه، فهي علاقة نسب ومصاهرة لا يتعالى فيها أحد على أحد كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، إتقان في الأعمال والمهام، وأمانة في الأداء والتعامل والمسؤوليات، الحاكم والمحكوم يؤدي كل منهم مسؤولياته المنوطة به على الصورة الشرعية القائمة على الشورى والعدل، والسمع والطاعة في المعروف، والتعاون على البر والتقوى، والتكامل لا التنازع، للقيام بالواجبات على أكمل صورة.

٧٤- تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٣٠٠.

وفي علاقاته مع الآخر فالاسلام يمتاز بأنه قدم منهجاً للحياة والأحياء تنتظم فيه البشرية بمختلف أجناسها وألوانها ولغاتها، فرسالة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين، ورسالته للناس كافة، وقد فهم بعض المسلمين أن العلاقة هي علاقة حرب، وإن المتأمل في المنهج القرآني والنبوي يجد بوضوح منهجاً واضحاً، فالناس أمام الإسلام منهم من آمن به، ومنهم المسالم له، ومنهم المحارب له، وقد سجل القرآن الكريم الأحكام المتعلقة بكل صنف من أصناف الناس ومن ذلك: فهو لا يكره أحداً على الدخول في الاسلام بل على القناعة قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] "لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ، جَلِيٌّ"[٧٥] وبتقرير هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره فيما يختص بالهدى والضلال، وتحمل تبعة عمله.

وتقوم العلاقة على أساس الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقال جل وعلا: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤] وقال عز من قائل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وبين القرآن الكريم الذي يمثل دستور العلاقة مع غير المسلمين أن تبادل المنافع والمصالح منهج أصيل في التعامل مع الآخر، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩ - ٨]، وقد حددت أول وثيقة نبوية مكتوبة العلاقات والواجبات بوضوح في حال السلم والحرب[٧٦] فهي علاقة تفاعل وتعايش وبناء وإعمار.

إن صعود سلم النهوض الحضاري جرت سنة الله تعالى أن يقوم على رؤية واضحة لعلاقة الانسان بربه وبالكون والحياة، فلا بد من التمكن المعرفي والتمثل السلوكي بهذه الرؤية لبناء حضارة مبصرة واعية تفاعلية تكاملية ومتوازنة، تحقق العبودية لله والانسجام مع الكون والانسان والحياة، تثمر السعادة للإنسان وتجنبه الشقاء.

٧٥- تفسير القرآن العظيم: ١ / ٥٢١.

٧٦- ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله ص: ١٧ فما بعدها، وثيقة المدينة المضمون والدلالة ، أحمد قائد الشعيبي ص: ١١ ــ ١٦.

المطلب الثاني: خصائص وسمات في التفاعل مع حركة النهوض الحضاري

أولاً: التفاعل الحضاري وأخذ النافع

الإسلام يربي معتنقيه على يقينيات ورؤية واضحة للإنسان والكون والحياة، فهم خاضوا غمار الحياة بكل تفاصيلها، وانطلقوا في جهات الأرض كلها، وتعاملوا مع حضارات وثقافات متنوعة، فاستطاعوا صهرها جميعا في بوتقة الإسلام، واستفادوا من النافع المفيد، فالتراث البشري تجربة بشرية، منه النافع ومنه غير ذلك، والحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها[٧٧]، فالشخصية المسلمة شخصية متميزة منفتحة على الآخر قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

لقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تنفتح على سائر الحضارات والثقافات برشد ووعي، فأخذت بالنافع المفيد من منطلق الواثق بنفسه، المتمكن مما عنده من إمكانات وطاقات، حيث يجد الباحث أن القرآن الكريم عرض في مواضع عدة التجارب البشرية من خلال القصص القرآني حتى يتم أخذ النافع وتجنب الضار، التقى المسلمون مع الحضارة الرومانية والفارسية والهندية وغير ذلك فتعاملوا معها بأسلوب تفاعلي فصهرت تلك الحضارات في الحضارة الإسلامية وتحولت شعوب وأمم إلى الحضارة الإسلامية ، بل وتخلى البعض عن لغته طواعية دون أدنى إكراه حبا في لغة القرآن الكريم، والدارس لأصول الفقه يعرف أن من الأدلة الشرعية: شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ[٧٨]، فالوعي بالذات فرع عن الوعي بالآخر والوعي بالآخر فرع عن الوعي بالذات[٧٩].

إن طبيعة الإسلام التي تساير العصور والأمم، لا تأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعد الإسلام الكلية وأصوله العامة، وأن نأخذ الأحسن من كل شيء، ونطبقه وفق أسس ديننا، ونظام حياتنا، وحاجات شعوبنا، كل ذلك بتميز فريد، فقد اتصلت الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت عن كثيرا من الحضارات، دون أن يؤثر ذلك على قيمها ومبادئها أو وحدتها الاجتماعية أو بنائها السياسي، فإن لكل أمة عظيمة هويتها وخصوصيتها الثقافية، تجعلها قادرة على أداء دورها الحضاري بتميز واقتدار دون ما ذوبان أو انحراف.

إن العلوم المختلفة منها ما يأخذه المسلم من مصادر الإسلام والبيئة الإسلامية، ومنها العلوم الطبيعية والصناعية، وعلوم التقانة والطاقة، فهذه تعد تراثاً إنسانياً يمكن الاستفادة منه من المسلمين ومن غيرهم، وكل علم ومعرفة يوضع في ميزان الإسلام، فما كان نافعا أخذنا به، وما كان ضارا وجب رده[٨٠]، وهذا يتطلب الجمع بين التقانة والتقوى؛ لأن الجمع بين التقانة والتقوى مما يقدم للبشرية اليوم صورة فريدة خالية من الفساد والانحراف، تسعى لسعادة البشرية، وإبعاد أسباب الشقاء، تكون فيها التقانة خادمة للتقوى، وحارسة لها، ومن أدلة التقوى العملية إعمار الكون واكتشاف كل جديد ونافع للبشر لتحقيق مقتضيات الاستخلاف في الأرض.

٧٧- الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب: العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ: ٥ / ٥١ رقم: ٢٦٨٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه، قال الألباني: ضعيف جدا.

٧٨- اختلف فيه الأصوليون فما ورد في شرعنا ما يؤيده أخذنا به وما ورد الإجماع عليه عند علمائنا أخذنا وما صح عنهم ولم يرد في شرعنا ما يؤيده ولا ما يعارضه فيه الخلاف.
ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي تاليف: علي بن عبد الكافي السبكي: ٣/ ٤٠٧، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني ص: ١٧٧ - ١٨١.

٧٩- ينظر: هي.. هكذا كيف نفهم الأشياء من حولنا، عبد الكريم بكار ص: ١٨٩.

٨٠- ينظر: حوار الحضارات د. موسى إبراهيم الإبراهيم ص: ١٣٨.

ثانياً: الشمول والتوازن والتكامل في حركة النهوض

إن النهوض الحضاري السليم يتطلب حركة نهضوية تتسم بالشمول والتوازن والتكامل، وهذه إحدى خصائص؛ الإسلام لأنه دين الله الذي أحاط بكل شيئ علماً، فهو يشمل الحياة والأحياء، فهو دين يتناول مظاهر الحياة جميعها، وعملية النهوض يجب أن تكون كذلك، مما يتطلب أن تكون حركة النهوض توازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، وعالم الغيب والشهادة، والروح والبدن، والعلم والعمل، والدعوة والسلوك، والقيم والفردية والجماعية.

إن نظام الدين لا يكتمل إلا بنظام الدنيا، وإن نظام الدنيا شرط لنظام الدين[٨١]. قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] فالبشرية اليوم متعطشة إلى حضارة الإسلام التي تعطيها الدين والعلم، والإيمان والعقل، والروح والمادة، والحق والقوة، والأخلاق والحرية، وتتعانق فيها المعاني الربانية والمصالح الإنسانية، وتتصل فيها الأرض بالسماء وتوازن بين الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الاعتزاز بالذات والثقة بالنفس ومعرفة الآخر على حقيقته

الاعتزاز بالذات والثقة بالنفس، واليقين بالقدرة على المشاركة الحضارية شرط أساس للنهوض الحضاري، والذات المسلمة تمتلك منهجاً ربانياً تستطيع من خلاله أن نعطي صورة فريدة في التعامل، تعتمد على قواعد وأسس علمية، تحفظ لذاتنا وهجها ونقاءها، وقوتها وصلابتها في الحق، واعتزازها بدينها، وكرامتها بين الأمم، واستمرار عطائها الحضاري للبشرية، واستعصائها على الذوبان، وتحترم الآخر وتعمل على التعاون معه بما يحقق المصالح ويزيل المفاسد، والخلاف بين البشر جزءا من طبيعة هذه الحياة الدنيا وطبيعة أهلها، وهو سنة ربانية لإثراء الحياة تنطلق من إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به يعصم من الخطأ فيه والمساومة عليه والخديعة بغيره .

إن ما يعتقده المسلم، وما يحمله من منهج وقيم تجعله يعتز بذاته، ويعترف بوجود الآخر القريب والبعيد، والصديق والعدو، وأن لديه شيئاً ما يمكن أن نستفيد منه، وهذا يتطلب معرفة ما لدى الآخر من خير وشر، وانجاز وقصور، ومعرفة أسرار تقدمه؛ لكي نكتشف أسباب تخلفنا في المجال الصناعي والتنظيمي والاداري، وما لديه من مشكلات يعاني منها وكيف يعالجها هو؛ لأن العولمة تعمم المعرفة والتقانة والمشكلات، مما يجعلنا نتعامل بوعي وفق منهج القرآن، فالبشر ليسوا كتلة واحدة[٨٢] قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥] وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ

٨١- ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الامام الغزالي ص: ١٢٧ - ١٢٨.
٨٢- ينظر: هي .. هكذا، بكار: ١٩٢ ـ ١٩٤.

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٤] وهذا يدعو النظر إلى السلبيات والإيجابيات بإنصاف، وهو الحق الذي لاينبغي أن نحيد عنه حتى نستفيد من النافع من التجارب البشرية، وإقامة العلاقات على أسس واضحة قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] وقال: ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] "ولا تنقصوا الناس شيئا من حقوقهم، في بيع أو شراء أو حق مادى أو معنوي، وقد أمرهم شعيب بالوفاء في الكيل والوزن، ونهاهم عن نقص الناس شيئا من حقوقهم بعد الأمر بعبادة الله مباشرة وذلك لأن هذه الخصلة كانت فاشية فيهم"[٨٣] كي تستقيم الحياة على منهج الله ، قال الشوكاني: "وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: أَشْيَاءَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَقِيلَ: كَانُوا مَكَّاسِينَ"[٨٤].

ويدخل في ذلك بخس الإنسان - فرداً أو جماعة أو أمة - حقه من العلوم، ومن حسن المعاملة والتوقير اللائق به وبيان فضله على ما هو عليه للسائل عنه[٨٥].

المطلب الثالث: العناية بالقيم الحضارية مع وضوح الرؤية في التعامل

أولاً: العناية بالقيم الحضارية

إن من سنن الله الثابتة أن حياة البشر ترتبط نهوضاً وسقوطاً بمدى التمسك بالقيم الحضارية التي تبني الحضارات وتتأسس عليها، بأن تتمثل في أنموذج بشري - أفراداً ومجتمعاً وأمة - ليكون قدوة للبشر يرونه ويلمسونه ويتعاملون معه، وهذا ما أبرزه القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد أسس القرآن من أول آية في النزول القيم الإيمانية والعلمية والاقتصادية، فأي حضارة فاقدة للقيم الإيمانية - الروحية - تشقي الإنسان، وتفسد فطرته السوية، وتطلق غرائزه دون ضابط، فالحضارات المادية، تحقق للإنسان الرفاه المادي الظاهر ولكنها تشقيه في روحه ومسلكه، والحضارة الغربية اليوم خير شاهد، والقيم تنعكس في خطاب الانسان لفظاً منطوقاً ومكتوباً، ومسلكاً في مسموعاته ومرئياته، وعلاقاته وتعامله، وصناعته وتجارته، وزراعته وبيئته - إنسان حيوان طير نبات ومياه وجماد - وتعلمه وتعليمه، وسلمه وحربه، وعلاقته، وحبه وبغضه، فقيمة الرحمة أساس في رسالة الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقيمة العدل رائدة له مع صديقه وعدوه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]، وقيمة الأمانة في دينه ومسؤولياته، وبيعه وشرائه، وقوله وعلمه وما يكتبه، وقضائه، وشهادته، ومجالسه،

٨٣- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي : ١ / ٧٣٧.

٨٤- فتح القدير: ٢ / ٢٥٥، والمكس: الميم والكاف والسين كلمةٌ تدلُّ على جَبْيِ مالٍ وانتقاصٍ من الشيء. ومَكَس، إذا جَبَى. والمَكْسُ: الجِباية. معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣٤٥.

٨٥- ينظر: التفسير الوسيط: ٥ / ٣٢٠، التفسير المنير في العقيد ة والشريعة والمنهج د وهبة الزحيلي: ٨ / ٢٩٢.

وجوارحه، وعباداته، ومعاملاته، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)[٨٦]، وقال عليه الصلاة والسلام:(لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)[٨٧]، وقيمة الصدق مع ربه ونفسه ومع البشر من حوله، فهو صادق يقول الصدق ويقف مع الصادقين، وقيمة الاتقان والإحسان في كل شأنه، في عبادته وأعماله، مميز في كل ما ينتجه من خطط وأعمال صناعية وزراعية، وتجارية وإنشائية ومهنية مختلفة، وقيم العفة والاستعفاف، والحياء، والتثبت في الأخبار والأحكام، وحسن الظن، والعفو والصفح، والسلام، وغض البصر، وحفظ الفرج بارزة في واقع حياة المسلم الذي يريد النهوض بمجتمعه وأمته، يتكافل إجتماعياً مع أبناء المجتمع، يعد الإخفاق تحد للنهوض مجدداً وبقوة، فهو يعيش القيم واقعاً ملموساً لا ادعاءً، فالنهوض الحضاري القويم يقوم على دعامتين الأولى: مادية والأخرى: قيمية، وهما جناحا أي حضارة تليق بالبشر، يكتب لها النجاح والاستمرار، أو تكون حضارة شوهاء سرعان ما تسقط، والقرآن الكريم حافل بالنماذج الحية لتمثل القيم، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام يتمثل القيم في مواقف كثيرة منها: تمثله لها مع امرأة العزيز حين راودته عن نفسه وغلقت الأبواب وهي ذات الجمال والمنصب وصاحبة المراودة قال الله جل وعز: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وهو ذات الموقف الذي انتصرت فيه القيم على شهوات الجسد في موقفه من النسوة حين رأينه في المجلس المعد من امرأت العزيز قال الله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ. قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ . قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣١ ـ ٣٣].

واليوم يتعرض الشباب للفتنة الصريحة ويحتاجون لعفة يوسف وقيمه لينتصروا على شهواتهم، وهكذا ظهرت أيضا مع صاحبيه في السجن، ومع رسول الملك، وفي عرض الملك عليه تولي خزائن مصر، وحين تعامل مع إخوته وهو في موقع المسؤولية كانت القيم حاضرة لم تغب عنه، وهذا النموذج الذي قصه علينا القرآن الكريم فيه عبرة وعظة وقدوة للبشرية. والمتتبع لآيات القرآن يجد نماذج كثيرة كقصة ذي القرنين، وقصة سليمان عليه السلام، ووصية لقمان، وسورة المؤمنون، والنور، والفرقان، والحجرات فيها منهج كامل للحياة القيمية والحضارة الرشيدة.

ثانيا: الانطلاق من القواسم المشتركة ووضوح الرؤية في التعامل مع الخلافات الفكرية والفقهية

القواسم المشتركة نقطة ارتكاز في التعامل البشري، ومن تلك المشتركات: حرية الإنسان في الكلمة والرأي العاقل والتعبير الباني، وحرية التدين، وحرية الانتقال والعمل، ومنها أيضا العدل والمساواة وهذا مما تتوق له النفس الإنسانية الحرة، فالناس أصل خلقتهم واحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ [النساء: ١] وقال: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة: ٧]، ومن ذلك تبادل المصالح والمنافع، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وغير ذلك.

إن امتلاك الرؤية الواضحة في كيفية التعامل مع الخلافات الفكرية والفقهية شرط للنهضة المنشودة؛ لإزالة كل أسباب النزاع وذهاب الريح؛ لتكون أداة للإثراء والتكامل والتنوع لا للتنازع والعداوة، مما يوحد اللحمة الداخلية، والتكامل مع سائر البشر في تحقيق المصالح ودفع المفاسد، فالعيش الكريم، ورفاهية المجتمعات،

٨٦- الجامع الصحيح - سنن الترمذي - أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ، باب، حديث رقم: ١٢٦٤، ٣/ ٥٥٦ وقال الألباني صحيح.

٨٧- مسند الامام أحمد: رقم: ١٢٣٨٣، ١٩/ ٣٧٦، مسند أنس بن مالك، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

والعمل على تحقيق السعادة، والإفادة من جميع الطاقات والإمكانات البشرية والمادية، مطلب ينشده جميع البشر.

خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات في ختام البحث الذي يعد اسهاماً في مسيرة النهوض الحضاري في الحياة الإسلامية المعاصرة من خلال بيان مفهوم مصطلحات البحث والكشف عن عوامل النهوض الحضاري وفق رؤية قرآنية جادة، يمكن إجمال أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

أولاً: نتائج البحث

١- سنن النهوض تتعلق بمجموع الأمة؛ فخطابات القرآن الكريم خطابات جماعية قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال جل شأنه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال عز من قائل:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٢- سنن الله لاتتبدل فهي ثابتة في الكون والانسان والحياة، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الاسراء: ٧٧]، وقال جل شأنه: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٢] وقال جل وعز: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣].

٣- للنهوض الحضاري عوامل يجب يجب الأخذ بها لتحقق النهوض المنشود.

٤- الانطلاق من الوحي إلى العصر هو مفتاح الانطلاق نحو المستقبل المنشود، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

٥- تحقيق المسلمين للنهوض الحضاري وإسهامهم في الحضارة من منطلق الشهود الحضاري، فريضة شرعية وضرورة حياتية، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٦- النهوض الحضاري لا يقوم على الأمنيات وإنما على العمل الجاد والمستمر، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

٧- امتلاك أسباب القوة ومغادرة حالة الضعف شرط للنهوض الشامل، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٨- لا بد من تظافر الجهود من كافة القوى الحية في الأمة حكاما ومحكومين من أجل تكامل الجهود لتحقيق ما تنشده الأمة.

٩- النهوض لا تتحقق أهدافه المنشودة إلا إذا كانت شاملة ومتوازنة تعتمد العلم أساسا، والحرية سلوكا، والحوار أسلوبا.

١٠- اعتماد البحث العلمي طريقا للنهوض السوي والمتوازن.

١١- اليقين الجازم بأن النهوض الحضاري للأمة لا يتحقق الا بالتمسك الصحيح بالإسلام والأخذ بنهجه الوسطي القويم.

ثانيا: توصيات البحث

١- تضمين المقررات الدراسية في مراحل التعليم المختلفة من المرحلة الثانوية حتى الجامعية موضوعات النهوض الحضاري وفق الرؤية الإسلامية من الكتاب والسنة؛ لكي نذكي في نفوس الأجيال الحرص على الاسهام الفاعل في عملية النهوض.

٢- رفع مستوى الوعي المجتمعي بعوامل النهوض الحضاري، ودور المجتمع من خلال المساجد، والنوادي، ووسائل الاعلام، وأدوات التوصل الاجتماعي المختلفة.

٣- فتح مجال التنافس في عملية الابداع والتطوير، وتوظيف الطاقات والقدرات في المجتمع وخاصة الشباب.

٤- إعطاء تعليم القرآن الكريم مساحة أكبر في التعليم الجامعي ليشمل كافة التخصصات الأدبية والتطبيقية باعتباره مفتاح النهوض الحضاري للأمة الاسلامية.

٥- إعطاء أهمية أكبر للبحث العلمي، ودعم مراكزه المختلفة، وتوظيف نتائجه، ومنها:

- مركز الدراسات التربوية والإيمانية
- مركز الدراسات القيمية.
- مركز الدراسات التقنية والتكنولوجية
- مركز الدراسات الاقتصادية.
- مركز الدراسات السياسية.
- مركز الدراسات الأسرية والاجتماعية
- مركز الدراسات الطبية.
- مركز الدراسات العسكرية والأمنية.
- مركز الدراسات الاعلامية.
- مركز الدراسات الاحصائية والاستشرافية.
- مركز الدراسات الزراعية
- مركز الدراسات المائية والبيئية والطاقة.
- مركزالدراسات التاريخية والحضارية.
- مركز الدراسات الفضائية.
- مركز الدراسات الشبابية والنسوية.
- مركز رعاية وتأهيل المبدعين.
- مركز الدراسات النفسية.
- مركز الدراسات التطبيقية

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، البيضاوي علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣. أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، أحمد محمد كنعان، كتاب الأمة رقم ٥٢.

٤. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥. الإسلام والتحدي الحضاري، حمدي والي، شروق للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٨. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٩. الفتاوى الكبرى إبن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٠. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي.
١١. الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، ١٤١٦ه - ١٩٩٦م.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن مرتضى الزَّبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، المطبعة المحمدية، القاهرة.
١٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.
١٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٠٥ه.
١٥. التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١م
١٦. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،١٣٨٣هـ.
١٧. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم (نشر عام ١٩٩٧ م).
١٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ط١، ١٤١٩هـ.
١٩. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٠. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
٢١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢٢. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
٢٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة، ١٩٩٧م و١٩٩٨م.
٢٤. تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض.
٢٦. جامع الرسائل، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٧. الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق: أحمد محمد شاكر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٢٩. الحرية في الإسلام، محمد الخضر حسين، دار الاعتصام، القاهرة.
٣٠. الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.
٣١. حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، موسى إبراهيم الإبراهيم، دار الاعلام، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٢. دراسات قرآنية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣٣. ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
٣٤. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٥. الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي.
٣٧. سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط٧، ٢٠٠٥م.
٣٨. سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، عبدد السلام بن نصر الله الشريف، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٩. السنن الالهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط، مجدي محمد محمد عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترحمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٠. السنن الالهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤١. سنن الله في الحضارات، عصام أحمد البشير، الأحد، ٠٨ نوفمبر ٢٠٠٩، متاح على موقع إسلام اون لاين.
٤٢. سنن الله في حياة الأمم في ضوء الكتاب والسنة، حسين شرفة، مؤسسة الرسالة، بيروت - دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٣. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين ابن تيمة، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
٤٤. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ب.ط، ١٤١١هـ
٤٥. الصحاح في اللغة الجوهري.
٤٦. شرح ديوان الحماسة، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، دار القلم - بيروت.
٤٧. الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابيف، دار ابن حزم، قبرص - بيروت، ط١، ١٤١٦ - ١٩٩٦م.
٤٨. العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية القاهرة.
٤٩. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت ط١، ١٤١٤ هـ.
٥٠. في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل ومحمد عبد الغني المصري ومحمود أحمد عويضة، دار عمار، عمان ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٥١. في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٥٢. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ه - ١٩٨٠م.
٥٣. لسان العرب، ابن منظور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٤. مجمل اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٥٥. مجمع الحكم والأمثال، أحمد قبش، دار الرشيد، دمشق، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٦. مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٧. مجموعة الوثائق النبوية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمع وتحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٥٦م.
٥٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٩. مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
٦٠. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد اسماعيل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢.
٦١. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٦٢. معجم مصطلحات علم النفس، منير وهيبه الخازن، دار النشر للجامعيين.
٦٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجديث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦٤. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٦٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخران، دار الدعوة، استانبول، ط٢، ١٩٨٩م.
٦٦. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٦٧. مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٧٢م.
٦٨. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٦٩. موسوعة الحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٩٨٩م.
٧٠. نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٧١. هي .. هكذا كيف نفهم الأشياء من حولنا، عبد الكريم بكار، مؤسسة الاسلام اليوم، الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ.
٧٢. وثيقة المدينة المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي، مكتبة الوسطية، صنعاء، ط٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.